قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة رؤية للدراسات الاجتماعية

الصفحة الرئيسية للمجلة: http://185.23.154.237:8084/Account/Login

الاثار الاقتصادية للحروب الصليبية على بلاد الشام

The economic effects of the Crusades on the Levant

م.م. هبة هادي طاهر القيسي [١] *

[١] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة واسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، العراق.

Keywords
Crusades, Agriculture, Industry, Trade

Abstract

The Crusades represent a significant chapter in the history of the West and the East, and the Christianization of the Islamic world, which lasted for nearly two centuries. The Crusades were not the first colonial endeavor beyond their borders, but rather a continuation of the expansionist policies of Western rulers. In fact, these wars appear to be a historically delayed reaction to the Islamic conquests of the first century. Not all inhabitants of the conquered territories embraced Islam, but Islam spread throughout the regions, and its acceptance continued to grow. Even centuries later, most of the inhabitants of these lands, including those who did not convert, were influenced by the advancement and development of Islamic culture and civilization. The conditions in the Islamic world and the lands of Islam in the eastern Mediterranean, such as the Levant and Egypt, were extremely chaotic and disorderly at the beginning of the Crusades. The political and religious unity that had existed until the third and early fourth centuries quickly collapsed. Because at this time, the Abbasid Caliphate had become more of a ceremonial institution, and its spiritual, political, and military authority was diminished, the general mobilization of the people was sidelined. Furthermore, the great and powerful empire formed by the Seljuk Turkmen after the death of Malik Shah had declined and collapsed. Within every corner of this vast empire, small, independent principalities emerged in various regions, including the Levant.

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:٢٠٢٦/١/٢
المراجعة:٢٠٢٦/١/٩
القبول:٢٠٢٦/٢/١

الكلمات المفتاحية:
الحروب الصليبية، الزراعة، الصناعة، التجارة .

ملخص

تعتبر الحروب الصليبية فصلاً مهماً في حياة الغرب والشرق وتنصير العالم الإسلامي الذي استمر قرابة قرنين من الزمان. لم تكن الحروب الصليبية أول تجربة استعمارية خارج حدودها ، بل كانت استمرارًا للسياسات التوسعية لحكام الغرب ، وفي الحقيقة يبدو أن هذه الحروب هي تاريخياً رد فعل متأخر على الفتوحات الإسلامية في القرن الأول. لم يعتنق جميع سكان الأراضي المحتلة الإسلام ، ولكن الإسلام ساد في جميع المناطق وازدادت عملية نمو قبول الإسلام ، حتى أنه بعد عدة قرون ، معظم سكان هذه الأرض ، حتى أولئك الذين لديهم لم تتحول إلى الإسلام ، تأثرت بتقدم وتطور الثقافة والحضارة الإسلامية كانت ظروف العالم الإسلامي وأراضي الإسلام في شرق البحر الأبيض المتوسط ، مثل بلاد الشام ومصر ، فوضوية وفوضوية للغاية في البداية الحروب الصليبية ، والوحدة السياسية والدينية التي كانت قائمة حتى القرن الثالث وبداية القرن الرابع ، سرعان ما انهارت. لأنه في هذا الوقت ، أصبحت الخلافة العباسية أكثر من وسيلة احتفالية ، وكذلك الخلافة من الناحية الروحية والسياسية والعسكرية ، تم إبعاد التعبئة العامة للشعب ، ومن ناحية أخرى ، تراجعت الإمبراطورية العظيمة والقوية التي شكلها التركمان السلجوقيون بعد وفاة مالك شاه وانهارت ، في كل ركن من أركان هذه الحكومة الواسعة ، ظهرت إمارات صغيرة ومستقلة في مناطق مختلفة ، بما في ذلك بلاد الشام .

***Asst. Lecturer Hiba Hadi Tahir Al-Qaisi**

١. مقدمة

اهتم المؤرخون الحديثون في الغرب والشرق بدراسة الحروب الصليبية، باعتبارها حلقة هامة من حلقات الصراع في العصور الوسطى، نظرًا لما تركته من آثار في تاريخ الأمم، وما ترتب عليها من نتائج هامة. وقد ظهرت مؤلفاتٌ كثيرةٌ في الغرب والشرقِ تناولت تاريخها وأحداثها بالدراسة والتحليل والنقد، وعلى الرغم من كثرة ما كتب عنها من بحوث ومؤلفات ودراسات، إلا أنها لم تغط كل جوانبها، ولم تظهر كل خفاياها، ولا زالت ميدانًا هامًا، وحقلا خصبًا يتسعُ للعديد من البحوث والدراسات؛ لما تركته من آثار متنوعةٍ في جميع الجوانب، وما كان لها من نتائج على جميع المستويات.

وقد حظيت دراسة الحياة الاقتصادية لسكان بلاد الشام ابان الصليبية باهتمام المؤرخين الحديثين في الغرب والشرق على حد سواء، باعتبارها حلقة هامة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطى نظرًا لما تركته من آثار في تاريخ الأمم وما ترتب عليها من نتائج هامة. ولهذا برزت مؤلفات كثيرة في الغرب والشرق تناولت تاريخ الحروب الصليبية بالدراسة والتحليل والنقد، وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن هذه الحروب من بحوث ومؤلفات، إلا أنها لم تغط كل جوانبها، ولم تظهر كل خفاياها ولا زالت ميدانا هاما وحقلا خصبا يتسع للعديد من البحوث والدراسات؛ لما تركته من آثار متنوعة في جميع الجوانب، وما كان لها من نتائج على جميع المستويات.

وبعد نجاح الحملات الصليبية على بلاد الشام والسيطرة على انطاكية والرها وبعدها بيت المقدس سعى الصليبيون الى الغاء الكيان الاسلامي فطردوا الاهالي واستولوا على اراضي الشام وبدأوا في إقامة إماراتهم الخاصة بهم بكيان غربي في معاملاتهم وقوانينهم

وكانت حياة الصليبين في بلاد الشام الاقتصادية تعتمد على الاراضي الزراعية وما تنتجه ومنه يتحول الانتاج الى صناعة وبعد عمليات الاسترداد التي قام بها المسلمون لأراضيهم فحاصروا الصليبيون في الساحل حينها بدأ اهتمامهم بالتجارة واستنادا الى ذلك تم تقسيمنا لهذا المبحث الى خمسة مطالب حيث جاء في المطلب الاول الاقطاع الصليبي والزراعة في بلاد الشام وتطرقنا في المطلب الثاني الصناعات في بلاد الشام وجاء في المطلب الثالث التجارة في بلاد الشام

اولا : اهمية البحث

تبرز اهمية الدراسة في انه كانت حياة الصليبين في بلاد الشام الاقتصادية تعتمد على الاراضي الزراعية وما تنتجه ومنه يتحول الانتاج الى صناعة وبعد عمليات الاسترداد التي قام بها المسلمون لأراضيهم فحاصروا الصليبيون في الساحل حينها بدأ اهتمامهم بالتجارة

ثانيا : مشكلة البحث

تبرز مشكلة الدراسة في انها انها تسلط الضوء على الحملات الصليبية على بلاد الشام حيث ان الغزو الصليبي لمنطقة الشرق الاسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري نهاية القرن الحادي عشر الميلادي كان تجربة قاسية في ضمير الأمة الإسلامية وسلسلة من الصراعات العسكرية ذات طابع ديني ضد الشرق الاسلامي ومن خلال ذلك يبرز السؤال الآتي :

ما هي الزراعة والتجارة في بلاد الشام ؟

ثالثا : منهجية البحث

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي بطريقته العلمية القائمة على الاستقراء .

رابعا : خطة البحث

المبحث الأول : الاقطاع الصليبي والزراعة في بلاد الشام

المبحث الثاني : الصناعة في بلاد الشام اثناء الاستيطان الصليبي

المبحث الثالث : التجارة في بلاد الشام اثناء الاستيطان الصليبي

٢. المبحث الأول: الاقطاع الصليبي والزراعة في بلاد الشام

١.٢ الاقطاع الصليبي

اتفق الصليبيون على اختيار جودفري البويوني حاكما على القدس يوم الجمعة الثاني والعشرين من تموز عام (١٠٩٩م) وقد أقام نظاما إقطاعيا شبيها بما كان سائدا في أوروبا واصبح بمقتضى ذلك حائزا لجميع الاراضي الخاضعة للسيطرة الصليبية لكنه لم يحتفظ لنفسه الا بجزء بسيط من الارض أما بقية الاراضي فقام بمنحها للنبلاء وكبار قادة الجيش وأطلق على الإقطاعات في الشام بالمناطق

او النواحي المفصولة وهي عبارة عن مصطلح استفاه اهل القدس والشام من الكلمة الفرنسية (النويري،١٩٨٨، ٢٦٠).

وكان لجوء ملوك القدس الصليبيين الى توزيع الاراضي ومنحها الى كبار الامراء والفرسان قد وضع الفلاحين المسلمين في حالة خضوع لأحد السادة الإقطاعيين في المملكة وبسبب ذلك فقدوا على الاقل ملكية الارض واصبحوا مستأجرين لها وكان السيد الإقطاعي يؤجر الارض الزراعية للفلاحين المسلمين ويترك لهم ثلثين او ثلاثة أرباع المحصول مقابل ان يتحملوا نفقات الارض الزراعية ودفع أجرة المزارعين الذي يعملون معهم في الارض وثمن البذور التي قاموا بشرائها وكان السيد الإقطاعي يأخذ حقوقه عينا من الارض المعدة لدرس الحبوب وكانت السلع المستحقة الدفع من المستأجرين المسلمين تؤخذ الى كوريا الخاصة بالسيد الإقطاعي ووفقا للنظم الإقطاعية لم يكن باستطاعة المزارعين ترك الاراضي التي يعملون بها والانتقال الى منطقة اخرى وهذا يعني تقييد حريتهم ومنعهم من الانتقال الى مكان آخر من اجل كسب رزقهم ومع ازدياد قلق السادة الإقطاعين في مملكة القدس الصليبية بخصوص تطور الزراعة في املاكهم فقد شجعوا المواطنين الصليبيين على الاستقرار والاستيطان وقدموا لهم الاغراءات وعلى رأسها الإعفاء من الضرائب (النقاش،١٩٤٦، ١٢٠).

اوجد ملوك بيت المقدس ورجال الدين اللاتين مستوطنات ذات طابع إقتصادي كان معظم سكانها من الصليبيين الذي حضروا الى فلسطين من اجل الاستيطان والعمل في الاراضي الجديدة فعلى سبيل المثال كانت البيرة والقبيبة من المستوطنات الاولى التي اسسها الصليبيون في القدس وجوارها (الباقوري،١٩٦٨، ٧٨).

وكان ملوك المملكة وأمراؤها يمنحون الإقطاعات والقرى والضياع لأتباعهم لكي يضمنوا دخلا يمكنهم من القيام بواجباتهم العسكرية ويساعدهم على ان يحيوا حياة تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية وكان الملك الصليبي يقوم بمنح الهبات والإقطاعات لكبار قادة الجيش حتى لو لم يكن هناك رابطة من روابط النبالة او الخضوع بمعنى ان الملك كان يغدق المنح على القادة والفرسان على الرغم انهم ليسوا من اتباعه فعلى سبيل المثال منح الامير جودفري البويوني إحدى وعشرين قرية في حدود القدس عن القدس وقلعتها وما يحيط بها و لم يحتفظ جودفري لنفسه إلا بمدينتين على الرغم انه يملك جميع الاراضي في العرف الإقطاعي لكنه كان يقوم بتوزيع معظمها على كبار الأمراء والفرسان (الكردي،٢٠١١، ١٦٠).

وقد بدأت ملامح النظام الاقطاعي الصليبي تظهر في عهد الملك بلدوين الاول اذ تشكلت حدود المملكة الصليبية بعد سيطرة الصليبيين على مزيد من الاراضي واصبحت الارض والعلاقات الشخصية محددة وواضحة بطريقة افضل ومن المرجح ان يكون تكامل الأنظمة الصليبية قد اصبح واضحا واكثر تبلور في جميع المجالات زمن الملك بلدوين الثاني اذ اصبحت الحكومة قوية وإكتملت الأنظمة الإدارية بصورة واضحة كما احكمت الحكومة الصليبية قبضتها على جميع الانظمة الإقطاعية (براور،١٩٩٩، ٩٧).

أما فيما يتعلق بأنواع الأقطاعات الصليبية فالنوع الاول منها الإقطاعات العينية التي اشتملت على الاراضي التي وقعت تحت السيطرة الصليبية حديثا وذكر يوحنا ابلين ان ما يؤديه الرجال من خدمة مقابل ما يتقاضوه من اجر من السيد إقطاعي من غلة الاراضي الاقطاعية او من دخل الاقطاع النقدي وإما النوع الثاني فهو الإقطاعات النقدية وهي عبارة عن حق تحصيل إيجارات أية املاك في مدينة اي اجمالي دخل المدينة او الاحتكار الملكي لها وهناك من يشير الى ان الاقطاعات النقدية هي حيازة خراج نقدي ثابت من المدن والقرى مقابل تقديم الفرسان والجنود عندما يحتاجهم الملك وهو نفسه ما يعرف بالإسلام بإقطاع الاستغلال (عمران،١٩٩٨، ٥٩) .

٢.٢ الاستيطان الصليبي في بلاد الشام :

أسهمت القوة العسكرية الصليبية في فتح الباب على مصراعيه امام المستوطنين الصليبيين للاستقرار والتملك في القدس وقد سارع الصليبيون الى وضع اياديهم على منازل المدينة واستولوا على كل ما وجدوه فيها بحيث ان من يدخل بيتا لم يجد من يعارضه وظهر ما يسمى بحق الاستحواذ وبذلك اصبحت القدس اول مستوطنة خضعت للغزاة بالقوة على ان أعدادهم لم تكن تكفي لملء شارع واحد من شوارع المدينة (البيشاوي،١٩٩١، ٢٩٠)

وليس من شك في ان عملية الاستيطان الصليبي في القدس واجهت منذ البداية مشكلة نقص العنصر البشري الصليبي وقد اهتم الملك بلدوين الاول بمشكلة النقص الحاد في عدد سكان القدس واخذ يفكر في التغلب عليها بكافة الطرق والاساليب حتى وجد ضالته في المسيحيين الشرقيين الذي يعيشون فيما وراء نهر الاردن

ونجح بين عامي (١١١٥-١١١٦م) في نقلهم الى القدس وقام باستقبالهم مع زوجاتهم واطفالهم ومنحهم أجزاء من القدس ووفر لهم المساكن في الحي اليهودي الذي كان يقطنه اليهود قبل المجزرة التي ارتكبها الصليبيون فيها (البيشاوي، ١٩٨٩، ١٤٥)

وكان قدوم المسيحيين الشرقيين من منطقتي الكرك والشوبك للإقامة في بيت المقدس بسبب الاغراءات والامتيازات التي وعدهم بها الملك بلدوين الاول علاوة على توفير المساكن للإقامة بها وقد ادرك المؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشارتري أهمية العنصر البشري في عملية الاستيطان واعتبره ركيزة رئيسه لعمليات التوطن في الاراضي المقدسة وقد عبر عن ذلك بقوله وفي بداية حكم بلدوين كان يمتلك مدنا قليلة ويحكم شعبا صغيرا وكرر القول نفسه في مكان آخر من كتابه ولهذا السبب بقيت ارض بيت المقدس فقيرة في السكان ولم يكن هناك من الناس ما يكفي للدفاع عنها ضد المسلمين اذا فكروا في الهجوم علينا وقد ادى استقرار الصليبيين في القدس الى ظهور بنية جديدة ترجع في معظمها الى اصول اوروبية وكانت تفتقر للمؤهلات الفنية في المهن والحرف التي كانت تشكل الاساس في اقتصاد المدينة (قاسم،٢٠٠٦، ١٣١).

حيث ان النظام الاقطاعي الاوروبي الذي نقله الصليبيون الى الاراضي المقدسة اسهم اسهاما كبيرا في زيادة الرقعة الاستيطانية في القدس وجوراها ويتضح ذلك من خلال المنحة التي قدمها الامير جودفري البويوني لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اذ قام بمنحهم احدى وعشرين قرية في حدود القدس وقد استغل رجال الدين اللاتين هذه المنحة بإنشاء العديد من المستوطنات حول المدينة وكانت البيرة الهدف الاول الذي اختاروه لتأسيس اولى مستوطناتهم على الرغم من انها لم تكن مهجورة من سكانها الأصليين عندما منحت لكنيسة القيامة عام (١٠٩٩م) (عوض،١٩٩٢، ١٨٩).

وقام رجال الدين اللاتين بتهجير من تبقى من سكان البيرة المسلمين الى مناطق اخرى قبل الشروع في تأسيسي المستوطنة ومن المرجح ان عملية تأسيس المستوطنة قد تم بالتدريج لأن رجال الدين اللاتين قاموا بتوظيف العديد من المستوطنين الأوروبيين الاحرار في البيرة فضلا عن تزويدهم بقطع من الاراضي حتى يقوموا بزراعتها مقابل دفع ضريبة العشر علاوة على اقتسام المحاصيل التي تنتجها اراضي البيرة معهم ومن المرجح ان المستوطنة قد اكتملت بعد خمسة عشر عاما من الشروع بتأسيسها عام (١١١٥م) إذ قام روجر اسقف الرملة بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قطعة ارض مساحتها اربع كاريوكات امام قلعة البيرة الى جانب منزل يقع داخل اسوار المستوطنة وبدأ كهنة كنيسة القيامة اللاتين بإكمال مساكن مستوطنة البيرة في عام (١١٢٠م) بدليل وجود الاسوار والمنازل والقلعة وجميع متطلبات الحياة داخل المستوطنة(البيشاوي، ١٩٨٩، ٩٦)

وإما عن طبيعة العلاقة بين سكان المستوطنات الصليبية ورجال الدين اللاتين فكانت علاقة تحكمها شروط واتفاقات تعتمد على العرف والتقاليد فقد زودتنا الوثائق الصليبية بمعلومات وافرة عن طبيعة العلاقات القائمة ففي احدى الوثائق إشارة واضحة الى التسهيلات التي قدمها رجال الدين اللاتين المستوطنين من اجل تشجيعهم على الإقامة والاستقرار في المستوطنات فعلى سبيل المثال قاموا بمنح ثلاثة من السكان اللاتين كروم عنب واشجار زيتون مزروعة حديثا في مستوطنة راماتيس كما سمحوا لهم بإقامة المنازل على جزء من الاراضي الممنوحة لهم دون تحصيل ايه إيجارات فضلا عن ذلك قاموا بمنحهم قطعا من الاراضي وكروم عنب كبيرة المساحة في مستوطنة البيرة وكانت جميع هذه المنح وراثية ومن حق المستوطنين نقل ملكياتها وقد فرض رجال الدين اللاتين على المستوطنين دفع الضرائب التي تنتجها الاراضي الممنوحة لهم دون تحصيل أية إيجارات عنها حيث كان يدفع ربع محصول القمح والخضروات وخمس المحصول من اشجار الكرمة واشجار الزيتون المزروعة حديثا الى جانب ضريبة العشر المقررة على الاملاك كلها (شراب،١٩٨٧، ٢٧٨).

إما عن بقية الاراضي التي حصل عليها المستوطنون الثلاثة في البيرة فقد فرض عليهم ان يدفعوا عنها العشر ونصف الانتاج الذي تدره الاراضي الممنوحة وكانت هناك قيود صارمة على المستوطنين في المستوطنات المجاورة للمدينة المقدسة ومنها عدم السماح لهم ببيع الاراضي المزروعة بأشجار الكرمة الا بعد استشارة رجال الدين في كنيسة القيامة واخذ موافقتهم واذا اصر المستوطنون على بيع كروم فرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة احق بعملية الشراء ومع ذلك فقد قام احد المستوطنين ببيع ارضه المزروعة بأشجار الكرمة الى احد جيرانه بمبلغ ستة وعشرين بيزنطا بعد موافقة رئيس كنيسة القيامة مع العلم انهم كانوا يشترطون الحصول على نصف ثمن الاراضي المباعة وكانت كنيسة القيامة تصنع

المراقبين على المزارعين الذين يتولون زراعة اشجار الكرمة في المستوطنات الصليبية وكان المراقبون يفرضون الغرامات على المهملين بشؤون كروم العنب كما انهم يهددون بانتزاع هذه الكروم ومنحها الى مستوطنين آخرين في حالة استمرار الاهمال وهدم العناية بكروم العنب وكان مسؤول الخزانة في مستوطنة البيرة يقوم بهذه المهمة يرافقه أربعة او خمسة شهود من اجل إثبات قضية الاهمال وكانت معظم المستوطنات الصليبية المجاورة للقدس تزود المدينة بإنتاج المزارع من الماشية والطيور والحنطة ومنتجات مصنعة مثل الجبنة والنبيذ والزيت وفضلا عن تزويد المدينة بالفخار وبعض المواد والسلع الصناعية الاخرى وكان الاستيطان الصليبي شمال القدس اكثر كثافة واندماجا حضاريا واجتماعيا من المناطق الأخرى (سلامة،٢٠٠٢، ٢١١).

٣.٢ الاراضي الزراعية وتقسيماتها

وأبدى الصليبيون اهتماما خاصا بالأراضي الزراعية فعملوا على تقسيمها وتنظيمها في وحدات عرفت كل واحدة منها باسم كاريوكا وتجمع كاريوكات وتعتبر كوحدات اقتصادية ولكنها في جوهرها وحدات ادارية اميرية ولم تكن مساحتها متساوية فبعضها كان يعرف باسم الكاريوكا الرسمية وكانت قانونية معتمدة من قبل الحكومة الصليبية واستعملت على اساس انها وحدة ادارية تخدم الاغراض الضريبية التي اقرتها الحكومة وكانت مسجلة ومحفوظة في خزانة الملك او مكتب مالي مركزي مؤكد انه مقدم من قبل اللاتين (الزيدي،٢٠١٣، ٤٠).

وكانت الكاريوكا الرسمية تساوي ثلاثمائة وستين كوردا مربعا اي ما يعادل (٦٠٢٧٣١٢ قدم مربع (٢٩٤٤*٢٠٤٨قدم) وهذه المساحة تعادل ايضا نحو ثمانين أكرا انجليزيا اي ما يعادل ثلاثمائة وعشرين دونما ويبدو ان الكاريوكا الرسمية كانت تعادل الفدان الرسمي الذي حددته الحكومة الصليبية ووصلت مساحته نحو ثلاثمائة وعشرين ثلاثمائة وخمسين دونما وقد قدر هذا المقياس بحوالي خمسة وثلاثين هكتارا على اساس انه وحجه ضريبية وإما النوع الثاني من الكاريوكات فعرفت باسم الكاريوكا غير الرسمية وهي عبارة عن قطع صغيرة من الارض يمكن لزوج من الثيران حراثتها في يوم واحد وتساوي المقياس الفرنسي وهو ما يحرقه محراث في يوم واحد(المغربي، ١٩٩٧، ٤٠).

وتماثل الكاريوكا غير الرسمية الفدان العربي الذي يساوي اربعة دونمات نحو اربعة الاف متر مربع وذلك تميزا للكاريوكا العربية عن الكاريوكا الصليبية الرسمية وهكذا يتبين ان الكاريوكا الصليبية القانونية تختلف في مساحتها وطرق استخدامها عن الكاريوكا العربية وقد استعمل الصليبيون مقاييس اخرى من اجل تقسيم الارض وتنظيمها بعضها تماثل الكاريوكا الرسمية مثل الكاريوكا اليونانية وهذا مصطلح يظهر بأنه مرادف للكاريوكا الفرنسية وهذه المقاييس تشير الى مساحة الاراضي التي يستطيع فريق واحد حراثتها في سنه وهي تشبه الفدان الرومي البيزنطي الذي استخدمه الصليبيون والمماليك وظهر مره اخرى زمن العثمانيين بنفس الاسم وقد استخدم الصليبيون مقاييس اخرى تدعى أرتروم علة نطاق محدود جدا ويرمز لمنطقه يمكن العمل بها من قبل فريق واخد او تحرث خلال سنة (البيشاوي، ١٩٨٩، ٤٧٠).

واما عن الاساليب الزراعية المستخدمة في الزراعة فهي الاساليب التقليدية فقد استخدموا المحراث التقليدي الذي يجر بوساطة الانسان والحيوان وقد اشارت احدى وثائق كنيسة القيامة الى ان ست بقرات خالية من الامراض كان باستطاعتها حراثة ست كاريوكات في اليوم الواحد مما يفيد بأن فلاحا واحد ينجز في اليوم حراثة كاريوكتين (البيشاوي، ١٩٨٩،٢١٤)

ان حراثة الارض كانت خاضعة لبعض القوانين فالأرض التي تم حراثتها من اجل زراعة الذرة لمدة عام يجب زراعتها بمحاصيل اخرى في العام القادم وكان الفلاحون الفلسطينيون والمستوطنون الأوربيون يتبعون دورة زراعية مدتها عامين بحيث تقسم الاراضي الزراعية الى قسمين كان يزرع في نصف اراضي القسم الاول المحاصيل الشتوية الحبوب والشعير بينما يزرع بعض اراضي القسم الثاني من القسم الاول بالخضروات ويترك بعضها للراحة بعد ان يتم حراثتها وفي فصل الصيف تزرع جميع الارض بالمحاصيل الصيفية مثل السمسم والذرة وفي السنة الثانية تترك ارضي القسم الاول للراحة بينما تزرع القسم الثاني بالحبوب الشتوية وقام الفلاحون بإنشاء القنوات والمجاري المائية لري الاراضي الزراعية حيث وجدت بالقرب من نابلس وأريحا (أبو عون، ٢٠٠٤، ١٨٠).

واستمرت المنح والاقطاعات المقدمة لكنيسة القيامة من قبل الملوك وكان الملك بلدوين الثاني سخيا في تعامله مع رجال

الدين اللاتين ويتبين ذلك من خلال الاقطاعات والمنح التي قدمها للكنائس والاديرة ومما يؤكد ذلك قيامه بتأكيد ما قدمه الامير جودفري البويوني والملك بلدوين الاول من منح وإقطاعات للمؤسسات الدينية في المملكة ففي الحادي والثلاثين منة يناير عام (١١٢٠م) أكد لبلدوين رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على استمرار حيازه الدير للمنح والامتيازات التي سبق ان حصل عليها الدير خلال فترة حكم بلدوين الاول وقد تم توقيع الوثيقة من قبل عدد من الامراء ورجال الدين اللاتين في المحكمة (الشارتري، ١٩٩٠، ٨١).

وقام رجال الدين بتوطين مجموعة من الاوربيين الاحرار في مستوطنة البيرة وزودهم بقطع من الاراضي ليقوموا بزراعتها مقابل دفع ضريبة العشر واقتسام المحصول معهم ثم قام روجر اسقف الرملة بمنح القديسة مريم قطعة ارض مساحتها اربع كاريوكات امام قلعة البيرة الى جانت منزل يقع داخل اسوارها ولا بد من الاشارة الى نقطة هامة وهي ان كنيسة القيامة كانت من اكثر الكنائس ثروة فقد استغل رجال الدين في الكنيسة جزءا من ثروتها واشتروا الاراضي والعقارات وتشير احدى الوثائق المؤرخة عام (١١٢٩م) الى قيام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بشراء كروم عنب في حدود القدس بمبلغ مائة واربعين بيزنط وشرائهم احد المنازل في المدينة نفسها بمبلغ مائتي بيزنط(النقاش،١٩٤٦، ١٧٦) .

وإما فيما يتعلق بالأملاك والاراضي التي حازتها الهيئات الدينية المحاربة فكانت بطريقتين بالمنحة او الشراء وتجدر الاشاره الى ان هيئة فرسان الإسبتارية اولى الهيئات الدينية العسكرية التي حازت على الاراضي الزراعية في المناطق المجاورة لبيت المقدس نظرا لأسبقيتها في النشأة وكان لهم حي خاص في المدينة المقدسة وصف بانه واسع يتقاطع مع المدخل الجنوبي لكنيسة القيامة وذكر المؤرخون الحديثون ان الهيئة احتلت مساحات من الاراضي وقد استخدموا جزءا من هذه المساحات وشيدوا عليها محلات للصرافة في شارع جبل صهيون منحت لهم من قبل وليم الاول بطريرك بيت المقدس(عوض،٢٠٠٤، ٨٣).

ومهما يكن من امر فقد استمر الملك فولك الأنجوي باغداق المنح والاقطاعات على فرسان الاسبتارية فقد قام بمنحهم قرية عمواس عام (١١٤١م) مقابل ان يدفعوا الى روبرت السنجلاوي مبلغا سنويا مقداره مائتان وخمسون بيزنط إضافة الى نصف العشر مما تنتجه القرية من الحنطة والزيت والفول والعدس والبازيلاء وكل الخضروات الاخرى لكنيسة القيامة إضافة الى تسلم فرسان الاسبتارية نصف الاعشار من مجموعة من القرى كانت جميعها ضمن صكوك طيرة عمواس وخربة عين اقوابيلا والقسطل وقالونيا أضافة الى صوبا وان هيئة الاسبتارية حولوا منزل وقطعة من الارض الفارغة الواقعة في منطقة القدس في القسطل الى احد الاشخاص ويدعى أريانوس يعقوب ويبدو ان هذا الشخص كان احد السكان المسيحيين الشرقيين من القرية هذا وقم تم اثبات ذلك ضمن الشهود المحليين وبتوقيعهم فأنهم يؤكدون مصداقية الوثيقة او عملية النقل (أبو فردة، ١٩٩١، ١٧٩).

وكانت هيئة الاسبتارية حازت على الاراضي المجاورة لبيت المقدس عن طريق الشراء ففي عام (١١٧٥م) قام بلدوين سيد الرام ببيع فرسان الاسبتارية قرية كافيرا (سانير) الواقعة في مقاطعة عابود باستثناء كاريوكتين تعود لرجل سرياني يدعي بوفيز وتجدر الاشارة الى ان الإسبتارية امتلكت بجانب الحي الاراضي في القدس وإقطاعات ضخمة وذكر المؤرخ الحديث روني ايلنبوم ان الاراضي التي تعود ملكيتها لهيئة الإسبتارية في سنجل اكدت من قبل الملك بلدوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥م) ولسوء الحظ لم تكن محفوظة وبالتالي من المستحيل تعين نوع الارض أما بخصوص هيئة فرسان الداوية فقد حازوا من قبل الملك بلدوين الثاني عام (١١١٨م) على مقرهم في جناح القصر الملكي بجانب المسجد الاقصى التي تعود اليها(شراب،١٩٨٧، ٣٧٧)

وامتلكت هيئة فرسان الداوية سوقا خاصا في المدينة المقدسة في شارع المعبد حيث وجد صفا من الدكاكين على الجانب الجنوبي للشارع جنوب ضريح الملوك كما امتلكت عام (١١٧٣م) معظم القرى التي تعود الى منطقة القدس والى جانب فرسان الاسبتارية والداوية ظهرت هيئات دينية اقل اهمية في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي مثل هيئة القديس لعازر وذكر يوشع برافر ان اول امتياز منح لتلك الهيئة يعود تاريخه الى الفترة الواقعة بين عامي (١١٣٠-١١٤٥م) ويعود مقرها عند السور الشمالي للمدينة المقدسة وعلى مقربة من ممر جانبي صغير والذي عرف باسم بوابة المجذومين وخلال فترة قصيرة امتلكوا في المدينة المقدسة كنيسة ودير خاص بهم (عوض، ٢٠٠١، ١٢٧).

واشتهرت مدينة القدس والمناطق المحيطة بها بإنتاج الحبوب والخضروات وذكر الرحالة الالماني بوشارد من دير جبل صهيون ان الاراضي المقدسة خصبه وغنيه بالقمح الذي تتم زراعته وحراثته دون جهد واشار دانيال الراهب الى ان الحنطة مزدهرة بشكل جيد والقمح والشعير ينموان بشكل ممتاز في المدينة المقدسة وبهذا الخصوص يقول عند بذر مكيال واحد نستطيع الحصول على مائه وتسعين عند الحصاد ويحتاج الهكتار من البذار الى ١.٥٨٤ لتر من القمح اي يساوي ٦٦.٨ كيلو غرام كذلك زرع القمح عند السلاسل الرئيسة لجبال القدس وكان اجودها في منطقة رام الله وتجدر الاشارة الى ان رجال الدين اللاتين والمستوطنين الأوروبيين اهتموا بزراعه القمح في المستوطنات الصليبية فقد ذكرت احدى الوثائق ان المستوطنين الصليبين زرعوا القمح في اراضي رامايتس التي كانت اراضيها مقدسة الى كاريوكات وكان قسم منها معد لزراعه القمح والقسم الاخر لزراعة اشجار الكرمة والزيتون هذا الى جانب الخضروات التي كانت تزرع في المستوطنة وذكرت وثيقة اخرى ان القمح والفول من المحاصيل التي كانت تزرع في مستوطنة البيرة (أبو عون، ٢٠٠٤، ١٨١).

وكذلك اشتهرت القدس والمناطق الحيطة بها بإنتاج الشعير وذكر المؤرخ يوشع برافر ان الهكتار من البذار يحتاج الى ٥٢ كيلو غرام وينضج الشعير في العادة في فترة مبكرة ولذلك يحصد قبل القمح خوفا من تقلص حياته واصفرار لونه وقد قام رجال الدين اللاتين بفرض الضرائب على الاراضي المزروعة بالقمح والخضروات اذ كان سكان البلاد الاصليون والمستوطنون الأوربيون يدفعون ربع محصول القمح والخضروات اذ كانت الحبوب والخضروات واشجار الزيتون اساس الاقتصاد الفلسطيني (النابلسي،١٩٧٩).

٣. المبحث الثاني : الصناعة في بلاد الشام اثناء الاستيطان الصليبي

لقد عرفت بلاد الشام العديد من الصناعات قبل الغزو الصليبي و تراوحت هذه الصناعات ما بين اعتمادها على المنتجات الزراعية كصناعة المنسوجات وصناعة السكر والصابون و النبيذ فاكتسبت لنفسها شهرة تاريخية في العالم فانتعشت بعض الحرف في القرن السادس الهجري على نحو لم يسبق له مثيل إبان الهدوء النسبي الذي ساد في عصر خلفاء صلاح الدين الأيوبي وتعد الصناعة الرافد الثاني للنشاط الاقتصادي الصليبي في بلاد الشام الذي كان يعتمد على المنتجات الزراعية اعتمادا كليا إلى جانب وجود صناعات معدنية وخشبية فاهتم الصليبيون بصناعة واستخراج زيت الزيتون لتوفر أشجار الزيتون في الأراضي الشامية منذ التاريخ القديم.

١.٣ استخراج زيت الزيتون

اشتهرت القدس زمن الحكم الصليبي بمجوعة من الصناعات اهمها صناعة استخراج زيت الزيتون التي كانت سائدة فيها قبل السيطرة الصليبية عليها وكان الاهتمام بها لانها تدر مبالغ طائلة وقد ذكر احد المؤرخين انها كانت متطورة الى درجة كبيرة في مدن القدس والخليل ونابلس وكانت معاصر الزيتون منتشرة في اغلب القرى التي تكثر فيها اشجار الزيتون والتي تعتمد اعتمادا كليا في زراعته وكان الفلاحون يجنون ثمار الزيتون عن طريق جد الاشجار بالعصي ثم يجمعون المحصول ويأخذونه للمعاصر التي كانت تدار بواسطة الانسان او الحيوان وكان يشرف عليها المعصراني الذي كان في معظم الاحيان يمتلك معصرة الزيتون التي يعود استعمالها الى عصور سابقة على العصور الوسطى وبعد ان يتم عصر الزيتون يأتي الفلاحون ويحصلون عليه زيتا خالصا ولا يدفعون مقابل عصره نقدا بل تكون أجرة العصر البزر الذي استخرج منه ويذكر ان صاحب العصرة يقوم بجمع البزر ثم يدرسه مستخرجا منه كمية من الزيت ثم يبيع البزر المهروس الى اصحاب الافران الذي كانوا يوقدونه في افرانهم ولا تزال بعض الافران الخاصة توقد ببزر الزيتون الذي يعرف بعد الهرس باسم الجفت (القاسمي واخرون،١٩٨٨، ٤٥٧).

ومن المؤكد ان الصليبيين بشكل عام ورجال الدين منهم بشكل خاص قد اهتموا بصناعة الزيت بسبب ما تدره من فوائد على العاملين بها بالإضافة الى وفرة اشجار الزيتون في الاراضي المقدسة وانتشار المعاصرة بكثرة في معظم القرى التي تشتهر بزراعة الزيتون وذكر الرحالة الالماني بورشاد من جبل صهيون ان الاراضي يكثر فيها انتاج الزيت وكانت المستوطنات الصليبية المجاورة لمدينة القدس تشتهر بصناعة استخراج زيت الزيتون والدليل على ذلك العثور على معاصر الزيتون في مستوطنة البيرة اذ عثر على معصرة زيتون مهدمة في احد منازلها كما تم العثور على عدة احواض وحفر صغيرة بجانب احد منازل مستوطنة القبيبة واستخدمت بهدف بيع الزيت وفضلا عن ذلك تم العثور على معصرة زيتون وأدوات العصر حيث اكتشتفت معصرتان وعثر بجانب الدير على ثماني حجرات وبكرات لمعاصر الزيتون ولعل هذا العدد من معاصر الزيت

والاحواض الكثيرة تشهد على اهمية الدور الذي لعبته صناعة استخراج الزيت في مستوطنة القبيبة وعثر ايضا علة معاصر زيتون في قرية عرنوطية كما عثر على معصرة زيتون تعود للفترة الصليبية في قرية بيتونيا(الزيدي،٢٠١٣، ٤١).

٢.٣ صناعة الصابون

تعد صناعة الصابون من أقدم الصناعات في الاراضي المقدسة وقد ارتبطت باستخراج زيت الزيتون وحظيت باهتمام خاص اثناء الغزو الصليبي وكانت بمثابة احتكار ملكي اي ان الملك الصليبي كان مسؤولا عنها ومنع اصحاب المصانع من ممارستها الا بعد ان يمنحهم عقدا خاصا يقضي بالسماح لهم بممارسة هذه المهنة على ان يقوم اصحاب المصانع بدفع مبلغ من المال مقابل السماح لهم بممارسة هذه الصناعة ومن المرجح ان عملية استخراج زيت الزيتون كانت احتكارا ملكيا لإرتباطها بصناعة الصابون (الطحاوي،١٩٩٩، ٢١٠).

ووجد في مدينة لقدس في الفترة الصليبية مصانع للصابون تعتمد على زيت الزيتون وتقع ضمن الصناعات التقليدية في المنطقة وخير دليل على وجود مصانع للصابون في القدس اكوام الرماد الواقعة شكال المدينة التي ربما تكون من مخلفات الصناعة وكان صناع الصابون يخلطون زيت الزيتون النقي والجير الطيب المحكم الطبخ بمادة قلوية تعرف باسم الصودا الكاوية (عرفت عند العرب باسم القلي) وبعد ذلك يتك طبخها على النيران المعدة لذلك وعندما يصبح المزيج لزجا يتم وضعه في فروش كبيرة مصنوعة من الخشب وعندما يجف يقوم العمال بتقطيعه الى قطع صغيرة ثم يسوقونه الى مدن الاراضي المقدسة المختلفة كما يقومون بتصديره الى الخارج ويبدو ان مصانع الصابون كانت قائمة في قرى القدس ورماتيس والقبيبة وبيت سوريك وعرنوطية اعتمادا على كثرة اشجار الزيتون الموجودة فيها فضلا عن وجود معاصر الزيتون في هذه القرى ومن المرجح ان سكان القرى سواء من المسلمين او المسيحيين الشرقيين كانوا يقومون بتصنيع الصابون من اجل سد احتياجاتهم السنوية(البيشاوي، ١٩٨٩،٤٣٣).

٣.٣ تجفيف العنب

وجدت صناعة الدبس التي تعتمد على ثمار العنب ومن المرجح ان أغلبية المسلمين الذي كانوا يقطنون في المناطق المنتشرة جنوب بيت المقدس كانوا يقومون بتصنيع الدبس هذا الى جانب انهم كانوا يجففون العنب ويأكلونه زبيبا كما صدروا الزبيب الدوري والعينوني ال خارج فلسطين كذلك اشتهرت الاراضي المقدسة قبيل السيطرة الصليبية بصناعة الخرنوب فقد اشار المقدسي البشاري الذي عاش في القرن الرابع الهجري الحادي عشر الميلادي الى ان سكان القدس والمناطق المحيطة بهال كانوا يصنعون من الخرنوب ناطفا ويسمونه القبيط (المقدسي،١٩٧٩، ١٨٣).

٤.٣ صناعة الحلوى

وفضلا عن ذلك اشتهرت مدينة القدس بصناعة الزلابية التي كانت تصنع في الشتاء من العجين غير المشبك (محمود،٢٠٠٨، ١٨٩).

٤. المبحث الثالث : التجارة في بلاد الشام اثناء الاستيطان الصليبي

ان التجارة هي الرافد الثالث للحياة الاقتصادية للصليبين في بلاد الشام فازدهرت بعض المدن اقتصاديا لممارستها للنشاط التجاري وحرصت المدن الإيطالية اشد الحرص على إقامة أوثق العلاقات التجارية وأوطدها مع الحكام فلم يلبث الإيطاليون أن أقاموا نشاط تجاريا واسع بين الشرق و الغرب فأسسوا مراكز وأحياء تجارية ثابتة في عكا و صور و صيدا وساعدهم الإعفاء الجمركي والتخفيضات وغيرها مما جعل منافسة بين التجار.

١.٤ التجارة الداخلية

اعتنى ملوك بيت المقدس الصليبين بأمور التجارة ومنحوا حقوق التصدير والاستيراد للتجار كما كانت سائدة قبيل الغزو الصليبي للمنطقة اشار بعض المؤرخين الصليبين المعاصرين الى ان الملك بلدوين الثاني شجع التجار على اختلاف فئاتهم ومللهم لإحضار المؤن والمحاصيل خاصة الحبوب والشعير والبقوليات الى مدينة القدس عام (١١٢٠م) دون تحصيل ايه ضريبة منهم كما وعد بتخفيف الجمارك تشجيعا لهم على احضار السلع الى المدينة المقدسة وبهذا يكون الملك قد اتبع اسلوب التجارة الحرة مع جميع التجار سواء المسيحيين السريان او الإغريق او الأرمن وحتى المسلمين وفضلا عن ذلك قام بالإلغاء المكوس والأكيال المعتادة في الفترة نفسها وكانت فكرته تشجيع التجارة الحرة والعمل على إحضار مختلف السلع والبضائع دون أية ضرائب من قبل التجار ونتيجة لذلك اضحت المدينة تفيض بموارد الإعاشة (السبكي،٢٠٠٧، ٣١).

ويبدو ان الإجراء الذي اتخذه الملك بلدوين الثاني يرجع الى طلب من البطريرك جرموند بيكني (١١١٨-١١٢٨م) فأعاد هذا الاجراء بلا شك على البطريرك بمبالغ مالية كبيرة لانه كان يتولى احتكار افران القدس وهكذا استطاع الملك بلدوين الثاني ان يستميل سكان المدينة الى جانبه فضلا عن تأييدهم ورضاهم وبدا في نظر شعبه مثال الحاكم الصالح الذي يعمل للمصلحة العامة ومثال ذلك انه اعفى المنتوجات الزراعية من مدينة هولدا الواقعة في مقاطعة القدس من الضرائب الأمر الذي اعاد نفعا الى سكانها وعلى التجارة الداخلية (حياوي،١٩٩٤، ٥٦).

وقد ادت فكرة الملك الصليبي الى تفعيل الحركة التجارية في القدس والمناطق المجاورة لها وبطبيعة الحال استفاد سكان المستوطنات القريبة من المدينة من تلك السياسة الهادفة الى تشجيع التجارة الحرة الامر الذي سيؤدي الى تصريف منتجات تلك المستوطنات في المدينة وذكر الحاج الروسي دانيال الراهب الذي زار فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي (١١٠٦-١١٠٧م) ان مدينة القدس كانت تستورد من نابلس ما تحتاج اليه من الطعام وخاصة الزيت والنبيذ والكتان والعنب وكان السكر المستخرج من نابلس يباع في مدينة القدس وتجدر الاشارة الى ان الملك عموري الاول انتهج سياسة مشابهة لسياسة الملك بلدوين الثاني حين قام باعفاء تجار قرية ترخو السريانية من الضرائب على الزبيب الذي باعوه في بيت المقدس مما أدى الى تشجيع التجارة الحرة واصبحت المدينة تتمتع بقوة اقتصادية قوية(أبو عون، ٢٠٠٤، ١٨٥)..

٢.٤ المحلات التجارية

أما فيما يتعلق بالمحلات التجارية في القدس زمن الحكم الصليبي فكانت مظلمة وضيقة ولا يزيد طول المحل عن أربعة امتار كما كانت المحلات مقنطرة وكانت وجهات المحلات التجارية مزودة ببرندات حجرية امام مداخلها تبرز من خط الجدار بحوالي متر واحد وترتفع نحو (٦م) فوق مستوى الشارع حيث تنتشر البضائع فوق البرندة ويستقبل التجار زبائنهم ويعرضون بضاعتهم على المصاطب على طول جوانب الشارع وامام المحلات حيث وجدت مصاطب حجرية يبلغ طولها نحو قدمين بينما يصل ارتفاعها وعرضها الى نحو ياردة وتجدر الاشارة الى ان هذه المصاطب التي بنيت زمن الصليبيين أزيلت بين عامي (١٨٦٣-١٨٦٤م) ووجدت عدة محلات في مدينة القدس ذات الوجهات الفرنسية وايضا وجدت في شارع داود محلات وصفت بانها مظلمة كما وجد على طول الجانب الشمالي لشارع داوود غرب السوق الثلاثي اربعة عشر محلا تجاريا متجاورا (الطحاوي،١٩٩٩، ١٤٠).

وتجدر الاشارة الى ان التجار الصليبيين كانوا يفتحون محلاتهم بعد طلوع الفجر بقليل ويستمرون في البيع الى ما بعد الغروب ويقفلون محلاتهم في فترة الظهيرة لتناول الغذاء ونوم القيولة وفي الايام المقدسة لا يفتح التجار الصليبيين محلاتهم وكان اصحاب المحلات اللاتين والسريان على حد سواء يعيشون جبنا الى جنب على الرغم من ان اماكن اجتماعاتهم قد اختلفت فبينما كان التجار اللاتين يجتمعون في شارع المغطس كان التجار السريان يجتمعون في الشارع الممتد من الزاوية اليمنى للسوق المؤدي الى كنيسة القيامة وقد اسهمت المدن التجارية الايطالية اسهاما فاعلا في اقتصاد القدس فقد لعبت اساطيلها دورا هاما في الابقاء على الطرق البحرية الى الغرب مفتوحة من اجل نقل الحجاج والقوات والعتاد والإمدادات الى الشرق فضلا عن ضرب الحصار حول المدن الساحلية الشامية والمصرية واعترف احد المؤرخين الحديثين بفضل المشاركة الإيطالية الكبيرة في الغزو الصليبي فان حملات الصليبيين كانت ستستغرق اطول او ربما لم تنجح على الاطلاق (يوسف،١٩٨٣، ٨٩)

٣.٤ التجارة الخارجية للمدينة المقدسة

احتكر التجار الايطاليون التجارة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية فضلا عن قيامهم بالأنشطة المصرفية واعمال الشحن والتفريغ البحري وكانت التجارة رائجة بين الصليبين والعالم الخارجي بشكل مميز فعلى الرغم من الصراع والحروب بين المسلمين والصليبين الا ان القوافل التجارية الاسلامية كانت تعبر البلاد الواقعة تحت سيطرة الصليبين وقد اشار الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد المشرق عام (١١٤٨/٥٥٨٠م) الى ذلك بقوله واختلاف القوافل الى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك ويتضح من حديث ابن جبير ان الحركة التجارية لم تتقطع بين المسلمين والصليبين على الرغم من استمرار الحروب بين الطرفين وكان التجار النصارى يؤدون الضرائب اثناء عبورهم للبلاد الخاضعة للسيطرة الاسلامية كذلك الحال بالنسبة للتجار المسلمين الذين يعبرون الاراضي الخاضعة للسيطرة وكان الاتفاق بينهم على هذا الاساس في جميع الأحوال (ابن جبير، ١٩٧٤، ٢٦٠).

وان الحركة التجارية في المملكة الصليبية كانت نشطة ويدو ان تجار المسلمين كانوا يجلبون البضائع الى الاراضي المقدسة ويشترون منها منتجات فلسطين خاصة زيت الزيتون والصابون والتمور وانواع اخرى من الخيرات التي كانت تشتهر بها الاراضي المقدسة وهكذا فان الحركة التجارية لم تتوقف بين البلاد الاسلامية وفلسطين خلال غزو الصليبين لها وكان السكر من السلع التي تستهلكه اوروبا في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين كان يأتي من بلاد الشام ومن المرجح ان زيت الزيتون لم يكن يصدر الى اوروبا الا في كميات قليلة في حين كانت فواكه فلسطين مثل تمار الليمون والرمان تحظى باهتمام اغنياء الغرب (نوار،١٩٩٢، ٢٣٨).

وذكر احد المؤرخين الحديثين ان النبيذ من السلع الشهيرة التي تصدر من فلسطين الى الغرب الاوروبي حيث وجد اقالا كبيرا عليه وذكر المؤرخ الانجليزي رنسيمان ان الصليبين قاموا بتصدير المنسوجات الحريرية والكتانية ال الغرب الاوروبي وقد اهتم التجار المسلمون والمسيحيون على حد سواء بإحضار بعض السلع من الشرق الاقصى الى الاراضي المقدسة وبعضها صدر الى الغرب الاوروبي لكي يباع في اسواقها كالعطور والبخور والاحجار الكريمة وقد حققت التجارة الخارجية دخلا عظيما لتجار مملكة بيت المقدس الصليبية ويشير احد المؤرخين الحديثين الى ان سوريا تتفوق على معظم اوروبا من حيث ان غناها الاقتصادي لم يكن ناتجا في الاغلب من الاراضي الزراعية وانما من التجارة وحظيت مدينة القدس بإزدهار اقتصادي نظرا لأهميتها الدينية عند الصليبيين فضلا عن الكثافة السكانية الموجودة فيها وما يحيط بها من مناطق ريفيه وكانت اسواقها عبارة عن أبنية عالية ذات قباب تزخر بمختلف انواع البضائع ووجد في المدينة عدد من الاسواق كل واحد منها مخصص لبيع سلعه (الحويري، ١٩٩٢، ٢٣٨).

٤.٤ الاسواق ومحاكمها

تميزت القدس بالعديد من الاسواق المحلية التي كان اهتماها الاول منصبا على تزويد سكانها وتجارها وزائريها من الحجاج بالحاجات الغذائية اليومية حيث وجد سوق الحبوب بالقرب من برج داود لبيع جميع انواع الحبوب وعلى رأسها القمح والشعير والشوفان كما كان لوجود هذا السوق بالقرب من برج داود دورا في تسهيل عملية النقل إضافة الى تحصيل وجباية الضرائب المفروضة عليها من قبل موظفي الجمارك الموجودين في هذا البرج وجد في القدس العديد من الاسواق المتخصصة مثل سوق الاعشاب حيث كان يتداول فيه بيع جميع انواع الاعشاب الطيبة والفواكه والخضار اضافة الى سوق التوابل وكانت توجد ساحة في اعلى الشارع تباع فيها الاسماك وخلف هذا السوق يوجد ساحة كبيرة كان يباع فيها الجبن والدواجن والبيض واطلق على هذا الشارع في هذا السوق شارع الاعشاب ويتميز بأنه مسقوف ومقنطر والى جواره يقع سوق الطعام الذي تباع فيه المأكولات الجاهزة للسكان الصليبين غير المتزوجين بخاصة (البيشاوي، ١٩٨٩،٤٤٨).

وكذلك يوجد سوق اللحوم بالقرب من شارع المعبد لبيع لحوم الاغنام والماشية ومن المؤكد ان الجزازين والدباغين استقروا في هذه الاماكن لكي يكونوا بالقرب من مصادر تزويدهم باللحوم او الجلود حتى يكونوا بالقرب من المصرف الطبيعي لتصريف مخلفات عمليات الذبح والسلخ والسوائل المستخدمة في تجارتهم وذلك في وادي يهوشافاط كما اوجد الصليبيون سوقا متخصصا لبيع التمور والنخيل عرف بسوق النخيل وتركزت خدماته في بيع التمور والنخيل للحجاج الذي اعتادوا ارتياده للحصول على هاتين المادتين وحملهما معهم اثناء تجوالهم في المدينة المقدسة وعند عودتهم الى بلادهم ويقع هذا السوق عند محلات بيع الذهب الخاصة بالصاغة السريان (البنا، ٢٠٠٧، ٩١).

وشهدت القدس زمن الحكم الصليبي انشاء سوق عرف بسوق اللغويات وهو سوق مفتوح للجميع ويقع بالقرب من شارع الاعشاب كما راجت اسواق الصرافة في العصر الصليبي لأن المدينة كانت بحاجة الى مثل هذه الاسواق نظرا لتوافد الحجاج عليها من كافة اقطار العالم الذي يحملون انواعا مختلفة من النفوذ هذا الى جانب التجار الذين يتوافدون على المدينة من شتى انحاء اوروبا وكان الصيارفة السريان يتواجدون في الجهة الشمالية من السوق بينما الصيارفة اللاتين في الجهة الجنوبية منه وكان المصرف على هيئة صف توجد به طاولات لتغير العملات الاوروبية بالعملة المحلية فضلا عن التعامل بمختلف العملات التي خضعت على الدوام للتخفيض من قبل الحكومة (العليمي،١٩٧٣، ٥٣).

٥. خاتمة

اولا : النتائج

١- الحروب الصليبية من حيث أهدافها الاقتصادية سيلاحظ القارئ أنها فشلت فشلا ذريعا بعد أن استمرت هذه الحروب نحو

قرنين من الزمان. واستطاعت القيادة الإسلامية أن تسترد الأراضي المملوكة للصليبيين شبراً شبراً، واستطاع المماليك في النهاية تطهير الشام من الصليبيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن حكومات الإسلام، التي كانت تتميز قبل الحروب الصليبية بالتسامح مع أتباع الديانات الأخرى، بدأت تتوخى الحذر في تسامحها مع الأوروبيين بسبب اعتداءاتهم المتكررة على الأراضي الإسلامية. ولذلك نلاحظ قلة عدد الحجاج الأوروبيين عقب الحروب الصليبية.

٢ – بعد سيطرة الصليبيين على القدس، اهتموا بزراعة المحاصيل التي تدر لهم دخلاً كبيراً، مثل زراعة أشجار الزيتون وقصب السكر وغيرها، بالإضافة إلى أن هذه المحاصيل تشكل المادة الخاصة العديد من الصناعات، مثل صناعة استخلاص زيت الزيتون، والصابون، والنبيذ المقدس، والخل، وتجفيف العنب، والسكر، وغيرها..

٣ – عندما سيطر الصليبيون على الشريط الساحلي لبلاد الشام، احتكر الإيطاليون المراكز التجارية والتجارية مثل عكا وصيدا وبيروت والمرافئ. ونجحوا في إنشاء كوميونات تجارية إيطالية كانت ضمن المستعمرات الصليبية وكانت مستقلة تابعة للدولة الأم. ولم يتدخل الصليبيون في شؤونهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية، وأدى ازدهار التجارة إلى ظهور الأسواق التجارية. جديدة ومتنوعة منها الموسمية والدائمة لتلبية الاحتياجات الموسمية للمواطنين وخاصة المتعلقة بموسم الحج إلى القدس. وفي الأسواق اعتمد الصليبيون على العملة الإسلامية مقلدة الدراهم الفاطمية والأيوبية.

ثانيا : التوصيات

١ – يوصي الباحث بمراعاة تكثيف الدراسات التاريخية في المجالات العلمية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية، وتوسيع المعرفة بهذا العصر، وإنشاء وتخصيص العديد من الأقسام والمراكز العلمية لدراسة تاريخ الدولة. الحروب الصليبية وأثرها على بلاد الشام ومصر.

٢ – أسباب سقوط الدول في أيدي اليهود والأمريكان والهندوس والروس هي نفس أسباب سقوط الشام ومصر في أيدي الصليبيين. والأهم من ذلك أن المخرج من أزمتنا الآن هو نفس الطريق الذي سلكه مجاهدو الأمة ومصلحوها.

٣ – أوصي الباحثين في مجال التاريخ بتركيز جهودهم على إجراء دراسات حول دور العلماء في الحياة الاجتماعية والسياسية، حتى يعطوا هذه الفئة المهمة حقها، أسوة بالقادة العسكريين والسياسيين. وحتى يتعرف الناس على هذه الفئة ودورها في حياة المجتمع، يتعين علينا كعلماء ومؤرخين الاهتمام والاهتمام بإجراء الدراسات والأبحاث حول هذه الفئة المهمة في المجتمع.

تضارب المصالح

يؤكد الباحث/الباحثون عدم وجود أي تضارب في المصالح المالية أو المهنية أو الشخصية قد يؤثر في تصميم الدراسة أو تحليل البيانات أو تفسير النتائج أو نشرها، وأن جميع الإجراءات البحثية تمت وفق معايير النزاهة والموضوعية العلمية.

– المصادر والمراجع:

١. ابن جبير ، محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير ، ط١ ، دار الفكر للطباعة وللنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٢. ابو عون ، عبد الرحمن حسين ، اقطاعية حيفاء ودورها في الصراع الاسلامي الفرنجي ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية التربية ، فلسطين ، ٢٠٠٤ .

٣. ابو فردة ، فائز احمد ، القدس مدنها وقراها ، ط١ ، دار الجليل للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩١ .

٤. الباقوري ، عبد العال ، مفاتيح القدس ، ط١ ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، مصر ، ١٩٦٨ .

٥. براور ، يوشع ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

٦. البنا ، عبد الحافظ عبد الخالق ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط١ ، مؤسسة عين للدراسات الاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

٧. البيشاوي ، سعيد ، الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩١ .

٨. البيشاوي ، سعيد ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية للطباعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

٩. البيشاوي ، سعيد ، دراسة مقارنة بين الاستيطان الصليبي والصهيوني ، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية ، المجلد ١ ، العدد ١ ، رام الله ، فلسطين ، ١٩٩٨ .

١٠. الحويري ، محمود ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ، ط١ ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١١. الحياري ، مصطفى ، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة ، ط١ ، مكتبة عمان للطباعة ، عمان ، ١٩٩٤ .

١٢. الزيدي ، مصعب حمادي نجم ، الصليبيون في بلاد الشام ، ط١ ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٣ .

١٣. السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب ، معيد النعم ومبيد النقم ، ط١ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

١٤. سلامة ، ابراهيم خميس ، دراسات في الحروب الصليبية ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية للطباعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢ .

١٥. الشارتري ، فوشيه ، تاريخ الحمل الى القدس ، ترجمة زياد العسلي ، ط١ ، دار الشروق للنشر ، عمان ، ١٩٩٠ .

١٦. شراب ، محمد ، معجم بلدان فلسطين ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٩٨٧ .

١٧. الطحاوي ، عبد الرحمن ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١ ، مؤسسة عين للدراسات الانسانية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

١٨. العليمي ، ابو اليمن عبد الرحمن بن مجبر ، الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ .

١٩. عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوروبا في العصور الوسطى ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٩٨ .

٢٠. عوض ، مؤنس ، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ، ط١ ، دار الشروق للطباعة ، فلسطين ، ٢٠٠٤ .

٢١. عوض ، مؤنس ، الحروب الصليبية قضايا السياسة المياه العقيدة ، ط١، مؤسسة عين للدراسات الانسانية ، مصر ، ٢٠٠١ .

٢٢. عوض ، مؤنس ، الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط١ ، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٢ .

٢٣. قاسم ، عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، مؤسسة عين للدراسات الانسانية ، مصر، ٢٠٠٦ .

٢٤. القاسمي ، محمد سعيد وآخرون ، قاموس الصناعات الشامية ، ط١ ، دار طلال للدراسات والنشر ، دمشق ، ١٩٨٨ .

٢٥. الكردي ، نيفين طافر ، الاوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الاوروبي من القرن ال٩ حتى القرن ١١ ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، كلية التربية ، غزة ، ٢٠١١ .

٢٦. محمود ، هنادي سيد ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الاول ، دار العالم العربي للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .

٢٧. المغربي ، عبد الرحمن محمد ، عكا ومنطقتها في العصور الوسطى ، ط١ ، مؤسسة الاسوار للطباعة ، فلسطين ، ١٩٩٧ .

٢٨. المقدسي ، محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل للطباعة ، ليدن ، ١٩٧٩ .

٢٩. النابلسي ، عبد الغني ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٣٠. النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية .

٣١. النقاش ، زكي ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٩٤٦ .

٣٢. نوار ، صلاح الدين ، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي ، ط١ ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٩٢ .

٣٣. النويري ، شهاب الدين بن احمد ، نهاية الارب في فنون الادب ، ط١ ، دار الفكر العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

٣٤. يوسف ، جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى ، ط٢ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ..